أحاديث إلى الشباب المسلم

شبهات في الفكر الإسلامي

أنور الجندي



دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسين حجازي
تليفون ٣١٧٤٨



٢٫٥ قرشا

أحاديث إلى الشباب المسلم

شبهات في الفكر الإسلامي

أنور الجندي

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

عشرات من الشبهات والتحديات تثار اليوم فى وجه الاسلام والفكر الاسلامي ، ومن حق الشباب المثقف علينا ان نضيء امامه الطريق ونكشف التمويه الدخيل الى حقائق التاريخ الاسلامى والفكر الاسلامى . ومن المعروف ان الاستعمارية والصهيونية والالحاد ما تزال تدفع هذه الشبهات وتكسبها لونا له بريق وتضعها فى أساليب مضللة باسم العلم.

ولكنها ليست من العلم او الحقيقة فى شىء . ونحن نعرف ان الذين يعاودونها هم دعاة التغريب والغزو الثقافى والنفوذ الاجنبى ، وهم ماكرون حين يثيرونها نقطه بعد نقطة ، وقضية بعد قضية ثم يعاودون آثارة الواحدة بعد الأخرى بأسلوب مختلف ، ومن زاوية جديدة ، فعلينا ان نكون على وعى بكل هذه التيارات ، وعلى قدر كاف من اليقظة لنربط بين هذه الجزئيات ولنعرف الاهداف الاستعمارية التى تهدف اليها ومما يثار على سبيل التمثيل لا الحصر الشبهات التالية :

اولا — ان تأخر المسلمين اليوم مصدره الاسلام .

ثانيا — ان المدنية الغربية تؤخذ كلها (حضارتها وثقافتها) وحلوها ومرها وخيرها وشرها ، وما يحمد منها وما يعاب .

ثالثا ــ الاسلام لا يستطيع ان يعطى العالم سوى المعاني الروحية .

رابعا ــ ايجاد الخلاف العميق بين العروبة والاسلام

خامسا ــ القول بأن المسلمين لم يستيقظوا من غفلتهم حتى أوقظهم الغرب .

سادسا ــ انكار دور الحضارة الاسلامية خلال ألف سنة في الحضارة الانسانية .

سابعا ــ القول بأن الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية .

ثامنا ــ عظماء الفكر الاسلامى لم يكونوا عربا وانما كانوا فرسا وتركا الخ .

تاسعا ــ لابد لكى ينهض العالم الاسلامى من ان ينفصل عن ماضيه .

عاشرا ــ اللغة العربية لغة متية كاللغة اللاتينية واللهجات هي اللغات الحديثة .

حادى عشر ــ التاريخ الاسلامى ملىء بالثغرات ويجب ان يقضى عليه كلية ..

هذه بعض القضايا التى تثار والتى تحتاج الى دراسة موسوعية : يمكن انَ يطلق عليها اسم « تصحيح المفاهيم »

الواقع ان المسلمين فى هذه الفترة التى احتل فيهـا الغرب « عالم الاسـلام » لم يكونوا ممثلين حقيقيين للاسلام وقد صور هذا المعنى الشيخ محمد عبده حين قال :

« ان الاسلام محجوب بالمسلمين» ولاشك أن فترة ضعف العالم الاسلامى لا يمكن ان تكون صـالحة لمناقشة جوهر هذا الفكر فى مجال التطبيق ، بعد ان اصيب بالجمود وانضعف وغلبت عليه نزعات التقليد ، فقد كان الفكر الاسلامى ، العربى اللغة فى جوهره وتجربته الاولى مضيئا ايجابيا مؤثرا متفاعلا ولو ان العالم الاسلامى ظل مرتبطا بجذور هذا الفكر ومقوماته الاساسية لم ينحرف عنها ، لو انه فعل ذلك لما وقع فى « الأزمة » التى حالت دون نموه وامتداده ، ولو ظل فى حركته الاصيلة ولم تقف فى وجهه الحوائل الضخمة لوصـل الى مكانه الانسانى العالمى ولظل مؤثرا فى مجرى الفكر البشرى .

أما القول بأن مصدر تأخر العالم الاسلامى هو الاسلام فهو قول مردود بتجربة التاريخ ، فقد اقام الفكر الاسلامي العربي اللغة حضارة ضخمة فى ظل العقيدة الاسلامية القائمة على التوحيد وامتزاج المادة بالروح ولم يتعارض العلم مع الدين .

ولعل القائلين بهذا الرأى انما ينظـرون فيما يقوله الغربيون عن المسيحية الغربية التى اقـاموها مزيجا من المسيحية السمحة الوافدة من الشرق ومن الوثنية اليونانية ، وعندنا ان كل ما يقال عن « الدين » فى رأى كتاب الغرب لا ينطبق على الاسلام فأن مصدر نظرتهم هي ما عرف من معارضة الكنيسة للعلم فى فتوحه ابان النهضة ، هذه النظرة

لا تنطبق على الاسلام ، ثم ان الاسلام بعد ذلك ليس دينا لاهوتيا عباديا فحسب ، ولكنه دين فكر وحضارة وتاريخه كله خلال اربعة عشر قرنا يشهد بأنه لم يتوقف مطلقا عن الحركة ، وانه ظل قادرا على التجاوب مع النهضات والحضارات فى آفاق العلم والبحث والابتكار .

٢ ـ المدنية الغربية

القول بأن المدنية الغربية يجب ان تؤخذ كلها (حلوها ومرها وخيرها وشرها) قول باطل ومردود ، وعلينا ان نفرق بين امرين تمام التفرقة ، ان نفرق بين الحضارة والثقافة ، فالحضارة مادة والثقافة فكر ، والحضارة ملك للانسانية كلها تأخذ منها ما تشاء ، ولكن الثقافة خاصة بكل أمة تستمد جذورها من وجدان الشعوب وضمائرها وامزجتها فكل ثقافة تمثل طابع امتها ، وهى هنا تختلف ايضا « عن المعرفة » التى هى ملك عام ، أما الثقافة فهى أقرب ما تكون الى الارتباط بالعقائد والقيم الأساسية للامم .

ومن هنا فنحن نأخذ حضارة الغرب لان لنا سابقة فى بنائها ولكنا لا نعتنق ثقافة الغرب ، وانما ننظر فيها ونفتح لها الابواب ، ونحن واقفون على قواعد ثابتة من قيمنا الاصلية وقد اخذت اليابان حضارة الغرب دون فكره ، وكذلك اخذت اوربا فكر الاسلام دون ثقافته ، وليس من المعقول ان يفعل العرب والمسلمون غير ذلك ولا يمكن ان يتخلص العرب والمسلمون من القيم الاساسية لفكرهم وهى التى تقوم على اساس التوحيد والترابط بين العقل والقلب .

ولا شك ان الفكر الاسلامى العربى فى مقوماته واسسه له طابعه المتميز ، والمختلف كثيرا مع مقومات الفكر الغربى ، وابرز هذه المخالفات فى ميدان العقائد ، وفى موقف الانسان بالنسبة للكون والحياة وفى نظرته القائمة على الاخلاق والتقوى وفى التربية والمجتمع والنفس .

وعبرتنا هنا من الغرب ايضا ، فان الافرنج عندما تعلموا علوم المسلمين والعرب وفكرهم لم يسلموا ولم يتعربوا ، لقد ترجموها ثم حولوها الى قاعدة فكرهم الاساسية المستمدة من الوثنية اليونانية والمسيحية ممتزجين ، ونحن نؤمن ان فكرنا العربى الاسلامى له قيمه ومقوماته الحية الايجابية القادرة على الاخذ والعطاء .

الواقع ان هذه الشبهة خاطئة الى ابعد حد ، فالفكر الانسانى المعاصر يسير فى ثلاث حلقات : الفكر المادى الصرف وهو فكر الغرب وهو يقوم على اساس الدارونية والعلم التجريبى والتفسير المادى للتاريخ ونظرية فرويد فى مادية الاخلاق واعلاء الجانب المزيزى فى الانسان ونظرية الذرائع التى تعلى من شأن المصلحة فى مقابل كل عمل ، والفكر الروحى الصرف الذى تعيشه آسيا والشرق الاقصى ، حيث البوذية والكنفوشيوسية ونظريات البراهمة وغيرها ، اما فى الاسلام فان الفكر يقوم على ازدواج الروح والمادة ازدواجا متفاعلا مسبوكا ، فيه الدنيا والآخرة والعقل والقلب ، ويقوم اساسا على الايجابية والتفتح والتقدمية شريطة ان تكون اخلاقية انسانية ، فالفكر الاسلامى ليس فكرا روحيا وليس فكرا ماديا ، ولكنه فكر متكامل انسانى عالمى ، وهو فكر له اسسه التى تختلف عن جميع الافكار ، مفتوح قادر على

التلقى والتعبير ، له قاعدة أصيلة قائمة على الاحتفاظ بذاتيته وقيمه ومقوماته ، يأخذ ويعطي دون أن يفقد ملامحه الأصيلة ، وفكرنا يتعرض اليوم لمواجهة الفكر البشرى تحت ضغط أجنبي فى محاولة لتغريبه واخراجه عن قيمه ، وهو قادر على أن يرد عن نفسه الرأى الوافد وأن يتسلم أسسه وأصوله وينظر فى ضوئها ويبنى عليها وهـو قادر على ان يقدم للانسانية كل خاصيتها فى مجال الروح والمادة ، والعقيـدة والنظم ، والعلاقة بين الله تبـارك وتعـالى والانسان والعلاقة بين الانسان والمجتمع على حد سواء .

٤ ــ العروبة والاسلام

نعم العروبة غير الاسلام ، العروبة دعوة فى نطـاق القوميات والاسلام دين وفكر وحضارة ، وليس فى الاسلام من بأس فى دعوات القوميات التى ظهرت فى القرن التاسع عشر فى العالم الاسلامى كوسيلة من وسائل المقاومة للمستعمر ، ولكن كل قومية تقوم الآن فى العالم الاسلامى ، لا تستطيع ان تنفصل عن الإسلام الذى هو جوهر فكرها .

والواقع انه لا خطأ فى الالتقاء بين العروبة والاسـلام فانهما قد التقيا منذ خمسة عشر قرنا ، وان نظـرية عروبة بغير دين كانت نظرية مستوردة من الغرب ، وهى تتصـل بمفهوم الغرب والمسيحية ولكنها لا تتصل بالاسلام الذى هو ليس دينا فحسب ، ولكنه دين وحضارة . ولا شك ان قيمنا الأساسية المستمدة من الاسلام هى عامل فعال فى بناء الأمة وان الثقافة الاسلامية العربية هى فرش الوحدة العربية ، اذ هى فى الحقيقة تمثل وحدة الفكر والشعور ، والثقـافة الاسلامية العربية اللغة ، هى انتاج مشترك ساهمت فيه كل

العناصر التى عاشت فى هذه المنطقة وفى مقدمتها تراث الاديان السابقة للاسلام ، وتراث الحضارات الفارسية والهندية واليونانية ، كل هذه الثقافات تبلورت فى بوتقة الاسلام التى تتمثل فى « التوحيد » والمعروف ان الغرب فصل القومية عن الدين ، لان الدين دخل على اوربا من الخارج فهو اجنبى عن طبيعتها وتاريخها فى حين ان الاسلام بالنسبة للعرب هو ثقافة وفكر وحضارة وتاريخ .

٥ ـ المسلمون واليقظة

القول بأن المسلمين لم يستيقظوا من نومهم حتى اوقظهم الغرب هو قول باطل ، فان العالم الاسلامى قد استيقظ قبل ذلك بأمد طويل ، هذه اليقظة التى بدأت فى منتصف القرن الثامن عشر سنة ١٧٥٠ بحركة محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية ، وما كان لها من اصداء فى العالم كله ، وهى تسبق وصول الجمعيات التبشيرية الاوروبية بمائة عام ، على الاقل ، وتسبق نابليون باكثر من خمسين عاما ، ويذكر الجبرتى ان واعظا جلس فى جامع المؤيد بالقاهرة ١١٣٢ هجرية وكثر عليه الناس ودعا الى تحرير الاسلام ، من البدع والعودة به الى منابعه الاولى ، ولا شك ان فى تاريخ العالم الاسلامى كثير امثاله فى مختلف الاقطار ، ولا ننسى دعوة العلماء فى مصر قبل وصول الحملة الفرنسية بسنوات للامراء بالعدل واخذ العهد عليهم ان لا يظلموا الرعية ، ولا يضعوا قانونا بضرائب جديدة ، وهو ما اطلق عليه وثيقة حقوق الانسان الاسلامية العربية ، ومن هنا يتأكد ان يقظة العالم الاسلامى قد انبعثت من اعماقه وصدرت عن فهم صادق لضرورة استعادة دوره فى الصدارة ومقاومة الاستبداد والنفوذ الاجنبى معا .

٦ – دور الحضارة الاسلامية

انكر كتاب الغرب دور الخضارة الاسلامية فى الحضارة الانسانية ، وتابعهم فى ذلك كتاب من الشرق والعالم الاسلامى وقد ظل هذا التحامل فترة طويلة ثم تحول من بعد ، فكتب عشرات من اقلام الغرب عن اصالة هذا الدور ، ننقل منهم رأى « سيديو » الباحث المعروف الذى يقول :

« ان نفوذ الفكر الاسلامى ، كان باديا فى مختلف ادوار تاريخنا ، لا فرق فى ذلك بين زمن الغزوات الاولى وزمن الحروب الصليبية ، نحن مدينون للمسلمين والعرب فى الحقل العلمى ، ويظهر انه قصد نسيان فضل المسلمين وانكار مالهم من تأثير فى الحضارة الحديثة ، فلقد حل الوقت الذى توجه فيه الانظار الى تصحيح ذلك ، ان العرب والمسلمين كانوا اساتذة اوربا كلها فى جميع فروع المعرفة .

وقال مسيو أوليرى : لو ازيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخرت النهضة الاوروبية فى أوروبا بضعة قرون ، وانه حتى اواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش فى جامعة مونبوليه بفرنسا .

وقال ماركس ماير هوف : ان المسلمين والعرب اسدوا جليل الخدمات الى بحوث الضوء ونظرياته ، هذا العلم الذى يتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الاسلامى ، ولولا المسلمون لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن .

وقال برنارد لويس : ان اوربا تحمل دينا مزدوجا للمسلمين والعرب ، فقد حافظوا على التراث الفكرى العلمى الذى خلفه اليونان وتوسعوا فيه ومن المسلمين والعرب

تعلمت اوربا طريقة جديدة فى البحث هى طريقة تضع العقل اولا وتنادى بوجوب البحث المستقل والتجربة .

٧ ــ الفلسفة اليونانية والفلسفة الاسلامية

خطأ القول بأن الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية وهذا الادعاء باطل ، فأن الفلسفة الاسلامية قامت اساسا على التوحيد ، وهو ما ليس مذكورا ولا معتنقا ولا معروفا على الاطلاق فى فلسفة اليونان ، والواقع اننى اقــــول مع الدكتور على سامى النشار اننا لم نــــكن عالة على اليونان وان فكرنا الفلسفى لم يكن موصول الوشائج بفكرهم ، بل على العكس تماما كان له الكيان المستقل ، والينبوع الذى تفجر منه النور واننا لم نكن ابدا صورة من صور اليونان ، بل كان لنا على المشرق الذى سطع فى أوربا عــــبر اسبانيا وصقلية ، النور المستمد من الأصل الالهى العظيم : القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وعندى ان الفلسفة اليونانية قد دخلت على الفكر الاسلامى العربى بعد قرنين كاملين من ظهور الاسلام ، وبعد ان اكتملت مقومات هذا الفكر ، ووضحت معالمه ، ولما كان اساس الثقافة الاسلامية العربية هو القرآن ، فأنه قد رفض من الفــــكر الهلينى التماثيل والصور ورفض تعدد الالهية . ورفض رأى ارسطو فى الله ، واصطنع فلسفة خاصة تتلاءم مع مفهــــوم التوحيد ، وقد بدت الفلسفة الاسلامية فى ثــــوب الصراحه والعلانية ، وهو ما يخالف غموض الفلسفة اليونانية . هذا فضلا عن ان الفكر الاسلامى لم يقبل علوم اليونان وحدهــــا بل اخذ علوم الهنود والفرس ومزج بينهما ، واضاف اليها ،

وحذف منها ، ومعنى هذا ان كله ما قبله الفكر الاسلامى من الفكر الانسانى يونانى او غير يونانى ، انما قبله على اساس مقوماته الاصيلة وفى ظل مفاهيمه التى رسمها القرآن ..

٨ ــ عظماء الفكر الاسلامى

١ ــ تقول هذه الشبهة : ان عظماء الفكر الاسـلامى لم يكونوا عربا وانما كانوا فرسا وتركا .

وهذه شبهة شعوبية تعتمد على نظرية الآرية والسامية التى اثارها التغريب محاولا بها رفع قدر الآريين وفكرهم والقاء الظنون والشبهات على العرب .

والواقع ان نظرية السامية والآرية هى فى الاصـل نظرية لغوية تولدت من وجود بعض المتشابهات بين اللغات الهندية واللغات الاوروبية . وقد حملتها حركة الغزو الثقافى والتغريب فالقت بها فى معركة الفواصل بين اللونين الابيض السيد والملونين (العبيد !) ومن هنا بدأت اثارة الشبهات حول اجناس العلماء ، وهل هم فرس او عرب .

والذى عليه اجماع العلماء والمنصفين ان الورثيات والدم والجنس (العرق) لا تكون الفكر ولا تبنى مقوماته وانمـا البيئة الفكرية هى التى تفعل ذلك ، البيئة بمقوماتها من اللغة والفكر والاحاسيس والمثل .

وقد جمعت « البيئة الفكرية الإسلامية » بين الفارسى

والتركى والبربرى جميعا وشكل الاسلام فكرهم ومزاجهم النفسى ، ومن هنا قامت وحدة الفكر الاساسية التى خلقت هذه العبقريات واعطتها حيويتها ، ومن المعروف انه لو لم تتأثر هذه البيئات اساسا بالاسلام ولم تتفاعل فى بيئة الفكر الاسلامى ، ما كان هذا الانتاج من التفكير الذى برزت به .

فضلا عن ان كل الفنون والعلوم التى تناولها هؤلاء الاعلام انما كتبوا عنها وعبروا باللغة العربية ، وتحركوا فى دائرة فكرها القرآن ، ومن هنا فان كل المفكرين المسلمين الذين كتبوا بالعربية هم مفكرون مسلمون وانما العربية اللسان وليس الجنس أو الدم أو العرق ، وليس فى مفهوم الفكر الاسلامي : عربى وفارسى وتركى فالكل تجمعه وحدة الفكر المستمدة من القرآن الكريم واللغة العربية ، وان كل ما يقال فى هذا انما يراد به اثارة الشبهات والخلافات وفصم عرى الوحدة والاخوة .

٩ ـ شبهة الانفصال عن الماضى

وهذه قضية غريبة كل الغرابه ، فان الغربيين الذين يدعوننا الى ذلك لم ينفصلوا هم عن ماضيهم ، اذ الواقع المؤكد المعترف به والذى لا يختلف فيه احد ان الفكر الغربى المعاصر ، انما قام اساسا على التراث اليونانى والرومانى واستمد منه ابرز قيمه ودعائمه ، هذا فضلا عن ان الاغريق انتهوا وانفصلوا عن الغرب الف عام ، بينما لم ينته المسلمون والعرب ، ولذلك يمكن ان يقال عن فكر الاغريق انه تراث ، ولا يقال ذلك عن فكر المسلمين والعرب الذى مازال حيا

متفاعلا . بالرغم من سقوط الدولة التى كانت تجمعهم ، وقد اشار المستشرق هاملتون جب الى هذا المعنى حين قال : انه ليس فى وسع العرب ان يتجردوا من ماضيهم الحافل وسيظل الاسلام أهم صفحة فى هذا السجل الحافل .

ولذلك فان دعوى الانقطاع عن الجذور دعوة تغريبية وهى اذا لم تدع صراحة الى هذا الانفصال ، فانها تصور هذا الماضى بصورة تبعث على السخرية به ، وهذا رجل من الغرب هو (اومرتو بيستز بيانو) الاستاذ بجامعة بالبرمو فى صقلية يقول :

ان النظر الى الامام لا يمكن ان يتم دون التزود من الماضى ، والبحث عن العناصر التى تكون منها جوهر هذا الماضى ، حتى يمكن بناء الحاضر والمستقبل من الماضى نفسه .

ولا يمكن للمسلمين والعرب أن يكونوا كأمريكا التى تبدأ تاريخها فى القرن السادس عشر بينما للعرب تراث اربعة عشر قرنا .

١٠ — اللغة العربية ، واللغة اللاتينية .

وهناك شبهة اخرى تحتاج ان يكشف النقاب عن وجه الحقيقة فيها ، تقول هذه الشبهة : ان اللغة العربية لغة ميتة كاللغة اللاتينية ، واللهجات هى اللغات الحية .

ووجه المقارنة هنا غير صحيح ، وغير صادق ، فقد انتهت اللغة اللاتينية وتحولت لهجاتها الى لغات ، وليس كذلك ما حدث بالنسبة للغة العربية التى ما زال القرآن

يظاهرها ويجعل ما كتبت به منذ خمسة عشر قرنا مقروءا اليوم بينما لم يحدث ذلك مطلقنا لأى لغـــة من اللغات الحية فى العالم الآن . ولن تموت اللغة العربية لأن علامة الربط بين عصورها هو القرآن أساسا ، وهذا ما لم تجده اللغة اللاتينية ليحميها من الموت .

واللغة اللاتينية حين ماتت مع الدولة الرومانية لـــم تكن لغة الغرب كله ، بل انها لم تستطع التغلب على اللغة اليونانية ، لان اللغة اليونانية هى الاخرى ارتبطت بحضارة اليونان ، فلمـــا انشبطرت الامبراطورية الى شـــطرين كانت اليونانية فى الشرق ، واللاتينية فى الغرب .

هذا فضلا عن ان اللغة اللاتينية كانت لغة ارستقراطية لا يتحدث بها الا « النخبة الممتازة » ولم تتغلغل فى طبقات العوام ، ولم تكن بالقطع لغة الشعب الاصلية ، وانما كانت للشعب لغات اخرى ، كالصقلية ، والجرمانية والسكسونية .

ومن هنا يبدو الفارق البعيد بينها وبين اللغة العربية التى ارتبطت بالاسلام والقرآن ، وعاشت معه ونمت فى ظله ولم تكن لغة ارستقراطية خاصة بل كانت لغة الشعب والثقافة معا ، وقد اتاح لها الاسلام ان تتغلب على مختلف اللغات فى العالم الاسلامى ، وان تأخذ المكان الأول فيه .

وكانت قدرتها على التطـــــور عاملا فعالا فى بقـــائها واستمرارها ، وتطورها ، وقد وصفها (ارنست رينان) بانها خلافا لكل اللغات ، ظهرت فجأة فى غاية الكمال ، غنية اى غنى ، بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا اى تعـــديل

منهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت منذ اول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلاتهم اليها .

ومن هذه العوامل جميعا يبدو الفارق البعيد فى المقارنة بين لغة انتهت وماتت ، وبين لغة ارتبطت بالفكر الاسلامى وعاشت معه على امتداد تاريخه وما تزال .

١١ ــ التاريخ الاسلامى ملىء بالثغرات

تقول هذه الشبهة ان التاريخ الاسلامى ملىء بالثغرات وهو كلام تغريبى شعوبى ، فلا يوجد تاريخ لأمة اشد ترابطا من تاريخ المسلمين والعرب ، حلقات متتابعة يسلم بعضها البعض الآخر ، ولن تكون هذه الحجة الواهية دافعة للعرب والمسلمين الى الانصراف عنه . وما اظن ان امة من الامم تملك تاريخا مليئا بالبطولة والسماحة ونبالة القصد كما يملك العرب والمسلمون .

ونحن ننظر الى تاريخنا نظرة منصفة ، فلا نقدسه ولا ندوسه ، ولكنا نحاول ان نستمد منه قوة ايجابية تدفعنا الى التماس الآفاق الجديدة للتقدم ، دون ان يكون معوقا لنا .

نأخذ منه العبرة لبناء القوة الروحية ، والثقة لتحرير الارض ، والعبرة لالتماس الطريق الافضل ، فهو عامل بناء فى مجال التربية والاجتماع ، يشد العزائم ويكشف امام شبابنا ان اجدادهم كانوا من بناة الانسانية والحضارة ، وان بطولاتهم ما تزال نماذج للاريحية والسماح والعدالة والوفاء .

وهو بهذا المعنى عامل من أكبر العوامل فى بناء حاضر الامة العربية ومستقبلها النفسى والاجتماعى .

نحن لا نقدس التاريخ ، ولا نتجاهله ، ولكنا نحرره من محاولات التزييف ونأخذ منـه العبرة ونحاكمـه بروح النزاهة والانصاف .

١٢ ـ لماذا لا يوجد مسرح اسلامى

يتردد القول كثيرا حول المسرح والقصة فى الادب العربى والفكر الاسلامى ، ويحاول بعض الباحثين ان يغض من شأن العرب والمسلمين لانه لم تظهر لهم اساطير او ملاحم او مسرح كما ظهر عند اليونان والغربيين ، ويحاول آخرون ان يدافعوا عن الادب العربى فينسبون اليه وجود القصة ممثلة فى الف ليلة والمقامات وغيرها .

وعندنا ان كلا الرايين على خطأ بالغ ، وانهما يجهلان طبيعة الامم والشعوب التى تصدر عنها الفنون والآداب .

ذلك ان النفس العربية بطبيعة تركيبها ومن خـلال مزاجها النفسى الذى اتصل بمفهوم الاسلام القائم على التوحيد قد تشكلت مطبوعة على الصراحة والوضوح ، فرض عليها ذلك ايمانها بالله ، وفرض ذلك جوها الصحراوى الواضـح الذى يمتلىء بالضوء منذ الصباح الباكر فاذا اشرقت الشمس عم الكون كله ضياء ونور .

فالنفس العربية واضحة كل الوضوح ، صريحة كل

الصراحة لا تحتاج الى الرموز ولا الى الايماءات ولا تجد هناك ما يحول دون أن تقول الكلمة ، وقد أعطاها فكرها الاسلامي هذه القوة وهذا الوضوح ، فضلا عن بساطة العقيدة الاسلامية التى لا تحتاج الى مسرحية طويلة لتشرحها او تجلى فى نفوس الناس وعقولهم فلسفتها .

وبالاضافة الى ذلك فقد شكل القرآن منهج البلاغة العربية فأقامها على الوضوح والايجاز حتى عد ابلغ الكلام هو السهل الممتنع وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه ان الحكمة قد اختصرت له اختصارا وقالت السيدة عائشة : رضي الله عنها أن النبى لم يكن يسرد كسردكم ولكنها كلمات موجزة .

كل هذه العوامل كانت بعيدة الأثر فى انتفاء وجود الملاحم والاساطير والمسرح فى الادب العربى والفكر الاسلامى فقد كانت هذه الملاحم والاساطير والمسرح نتائج لطبيعة الامم التى عرفت هذه الفنون ، فقد اتخذتها وسيلة للافصاح عن فكرها حيث عاشت فى بلاد تميزت بالليل الطويل والظلام والغيوم والسحب ، وعرفت الجبال العالية والبحار العميقة ، وما يتصل بذلك من مخاوف كانت تملا سكان هذه البلاد ، ومن هنا نشأت الاساطير ، والقصص الخرافية ، وكانت العقائد المعقدة تحتاج الى تفسير وايضاح ، ومن هنا كان الرمز فى التعبير والمسرح للتوضيح فكيف يوجد مثل ذلك فى بيئة تختلف كل الاختلاف ، ولا تحتاج الى مثل هذه الوسائل لايضاح فكرها أو تبليغ كلمتها .

لقد رأى العرب الشعر اليونانى والقصة اليونانية ابان حركة الترجمة فاعرضوا عنها لانهـا مليئة بالوثنيـات والاساطير ، ولم يكونوا حريصين على نقل آداب الامم المتصلة بمشاعرها وعواطفها ، ولكنهم كانوا يهدفون الى نقل العلوم والفلسفات الطبيعية والرياضية كما كانوا عازفين تماما عن نقل فلسفات الوثنية وآداب الاساطير ..

١٣ ـ لماذا قتل الحلاج واضطهد ابن رشد :

حاول بعض الكتاب ان ينهم الفكر الاسلامى بما اتهم به الفكر الغربى من اضطهاد المفكرين والتضييق على حرية الفكر ، وذلك بضرب الأمثلة بالحـلاج وابن رشد فى مقابل جاليلو وغيره فى الغرب .

والحقيقة ان المقارنة باطلة ، فقد افسح الاسلام لحرية الفكر مجالا واسعا ، حتى انه سمح لسماع آراء المعارضين للاسلام من يهود ومسيحين ومجوس فى مجالس الخلفاء فى مجال الجدل والمناقشة والوصول الى الحقيقة .

ولقد اتاح الاسلام للفكر حريته ، ولم يقف امام اى معبر عن رايه داخل حدود الاسلام او خارجه ايمانا بمبداه الصريح (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**) .

واذا كان الامر كذلك فلماذا قتل الحلاج والسهروردى واضطهد ابن رشد ؟

ذلك امر آخر يختلف كل الاختلاف !

اما الحلاج فان آراءه لم تقتله ، ولكنه الذى قتله هو خيانته واتصاله بالخارجين على الدولة الاسلامية والعاملين على اسقاطها .

وقد ثبتت عليه مكاتيب صريحة تحمل هذه الدعوة وتؤكدها . اما فكرة المنحرف فلم يكن سبب قتله ، وقد قال تلميذه ابن عربى اكثر مما قال هو ، ولكنه وقف فى حدود الفكر دون ان يتعداه .

وكذلك ثبت مثل هذا الاتهام على السهروردى .

ويحاول كثير من دعاة التغريب ان يفاخروا بالحلاج المقتول والسهروردى المقتول ، وذلك لاثارة الشبهة حول الاسلام وموقفه من حرية الفكر .

ومن الحق أن ما قال به الحلاج والسهروردى لم يكن اساسا من الفكر الاسلامى ، ولا منطلقة « التوحيدى » الواضح ، ولكنه كان مستمدا من ثقافات قديمة هندية ومجوسية تقول بوحدة الوجود والحلول وغيرها من المذاهب المنحرفة التى لا يقرها الاسلام .

ولكن مثل هؤلاء لم يكن المسلمون يقاومونهم بالقتل بل بالنقد والكشف عن أهدافهم واهوائهم . وتعرف مداخلهم واغراضهم ولم يكن الحلاج والسهروردى وحدهما فى هذا الميدان ولكن كان هناك كثيرون تركوا لشأنهم حتى ماتت دعواتهم اما القتل فلم يصب الا الذين اتصلوا بالسياسة وارتبطوا مع الباطنية الذين كانوا يستهدفون ازالة الدولة الاسلامية .

اما ابن رشد فان امره يختلف ايضا ، لقد كان ابن رشد صديقا للخليفة وكانت لهما جلسات ومطارحات وكان اعجاب الخليفة به بالغا ، وقد وصلت هذه العلاقة الى الحد الذى كان يسمح لابن رشد أن يقول للخليفة (يا اخى) فلما احس خصوم ابن رشد بما بلغته هذه المكانة البوا عليه واثاروا حوله الشبهات وكان مما احرجوا به قلب الخليفة ان ابن رشد لا يخاطبه بالعبارات التى تقال للخلفاء وقد اضافت الاحداث الى ذلك أمورا منها ما نقل الى الخليفة من انه وصف الخليفة بأنه (أمير البربر) وبذلك جرده من مكانه كأمير للمؤمنين ، كل هذا هو الذى حمل الخليفة الى ان يخاصم ابن رشد هذه الخصومة العنيفة ، فينفيه الى مكان ناء ، ويحرق كتبه ويأمر بعدم تداولها .. غير ان أمر ذلك لم يستمر طويلا فقد استطاع ابن رشد ان يصحح هذه المواقف فى نفس الخليفة وان يحرر له التحريف الذى جاء فى عبارة (أمير البربر) وكان ابن رشد يقصد (أمير البرين) وانتهى الموقف عند هذا الحد .

ويعنى هذا كله ان ما يردده دعاة التعريب والغزو الثقافى محرف عن اصوله التاريخية فى محاولة لاتهام الفكر الاسلامى .

ويردد المستشرقون والمبشرون ودعاة التغريب دعوى مضللة هى ان الاسلام دين ، يمثل العلاقة بين الله والعباد ، وذلك وفق المفهوم اللاهوتى المعروف فى الغرب ، وهم فى هذا ينتقصون الاسلام فى اكبر مقوماته ، فالاسلام دين ونظام مجتمع ومنهج حياة ، فاذا فصلت منه هذه الجوانب وقصر على العلاقة بين الله والناس كان ذلك تحريفا خطيرا لمضامينه واسسه .

ولقد قامت على هذه المفاهيم المنحرفة نتائج مضللة كثيرة حاولت ان تنفذ الى قلب الفكر الاسلامي والثقافة العربية لتغير معالمه .

ولكن لماذا يهدف التعريب والغزو الثقافى الى هذا العمل ؟

الواقع ان الغرب يخشى الاسلام فى مفهومه الصحيح لانه يحول دون نفوذه ووجوده وسيطرته ويدفع المسلمين الى مقاومته وتحرير ارضهم منه ، ولقد عرف الغرب الاستعمارى هذا فركز على اثارة الشبهات حول هذه القيم التى جزرته قبلا من كل غزو ومن كل ازمة ومحنة ولذلك فقد حرص على ان يقيم نفوذه على قواعد من التدخل الثقافى والفكرى قوامها :

١ ـ مدارس الارساليات للتبشيرية وجامعاتها المنبثة فى العالم الاسلامى .

٢ ـ تعزيز حركة التبشير بنوعيها التبشير العلنى والتبشير الخفى ودعمها بالاستشراق .

٣ ـ اقامة دعوات هدامة مختلفة تحمل فى تضاعيفها الدعوة الى الاقليمية والتعصب والخصومة واعلاء القبليات والطائفية .

٤ ـ تدعيم حركات الإلحاد والاباحة المتسترة وراء الصهيونية والماسونية والبهائية والروحية الحديثة والثيوصوفية .

٥ ــ اذاعــة فلسفات الفــرويــدية والوجــودية والبراجماتزمية وآراء وليم جيمس ودوركايم وكلهــا تهــدف الى تدمير قيم المجتمعات والدعوة الى الحرية المطلقة الخارجة عن القيم والضوابط .

فاذا وصل التغريب الى اقناع المسلمين بأن الاسلام دين لاهوتي فحسب ، اتضح الطريق امام الغزو الاباحي والالحادى الذى سيؤدى الى تدمير القيمة الاخــلاقية والروحية والنفسية فى الانسان المسلم والانســان العربى بحيث يصبح نموذجا زائفا للفكر الغربى ، بمعنى ان تنطوى طبيعته الاصيلة ومزاجه النفسى والروحي وذاتيته وتنصهر فى أتون الدعوة العالمية والأممية الهادفة أساسا الى استعباد الاممو الشعوب والقضاء على اديانها ومقوماتها وجعلهــا خدما لاهداف الاستعمار العالمى الذى تقوده الصــهيونية العالمية .

١٥ ــ تكامل قطاعات الفكر

تحاول الشبهة ان تقر تجزئة قطاعات الفكر الاسلامى وانفصالها بينما لا يقر الاسلام هذه التجزئة ويقرر تكامل عناصر الفكر فى وحدة واحدة .

فالفكر الغربى يجرى على الفصل بين المجتمع والدين وبين السياسة والأخلاق ، وبين الادب والعقائد وبين العلم والــدين .

وذلك جريا على منهجه الذى يفصل بين الــروح والمادة ، والعقل والقلب ، وبين الدنيا والآخرة وفى ضوء

انكاره للغيبيات واستعلاء مفاهيمه للمحسوس والعقل والتجربة وانكار ما سواه من وسائل المعرفة .

اما الاسلام فان منهج المعرفة الذى اقره استمدادا من القرآن الكريم يجعل للمعرفة جناحين هما العقل والقلب ، ومن هنا فهو يجعل عناصر الفكر كلها تدور حول بناء الفرد وبناء المجتمع ومن هنا فلا تنفصل فيه الاجزاء ولكنها تتكامل وتتلاقى فى توازن وموائمة شاملة من حيث ان الانسان نفسه روح ومادة وقلب وعقل .

والاسلام يقر التخصص ولكنه يراه مرحلة تالية للتكامل غير منفصل عنه فنظرة الاجتماعى فى الفكر الاسلامى تشمل السياسة والاقتصاد والقانون وعلم النفس والتربية وكذلك كل عامل فى مجال من هذه المجالات .

والادب فى مفهوم الاسلام لا ينفصل عن ترابطه بالمجتمع والاخلاق والدين .

١٦ ــ اللغة والفكر

تجرى محاولة التغريب والغزو الثقافى على قاعدة القول بأن اللغة ملك لاهل العصر ، ومن حقهم ان ينظروا فيها نظرة تفصلها عن ماضيها وكيانها . ومن الحق ان يقال ان هذه النظرة الى اللغة : هى نظرة غربية وليست عربية اصيلة . وذلك ان اللغة العربية تختلف عن اللغات الاخرى بظاهرة اساسية هى نزول القرآن الكريم بها ومن ثم فلم تعد لغة اهلها او لغة عصر بذاته ، فيكون من حق اهل هذا العصر او هذه الامة ان تعمل فيها عملها .

فاللغة العربية ليست لغة قطر واحـــد ، ولكنها لغة العرب عامة ، وهى لغة وطن للعرب ولغة ثقافة لسبعمائة مليون مسلم ، ومن هنـــا تبدو صعوبة القول الجـــرىء بقدرة احد على التصرف فيها من خلف هذه الملاين ودون ارادتهم وبعمل قد ينسد عليهم ثقافتهم واتصالهم بالفكر الاســـلامى وبالقرآن واسس الاسلام نفسه التى ارتبطت باللغة العربية ارتباطا جذريا . وعلى الذين يتصدون لامر اللغة ان يعلموا ان اللغة العربية تختلف عن اللغات الاخرى من حيث انها لغة امة ولغة فكر .

وان الدعوة الى تحرير اللغة هى دعوة مغرضة يراد بها عزل اللغة عن القرآن والايغال بها فى متاهات العامية وبذلك تنفصل الاقطار العربية ، كأمة ، وتنعزل عن ثقافتها وتراثها الاسلامى .

١٧ ـــ المعرفة والعقيدة

هناك محاولة لتمييع الفارق بين المعرفة والعقيدة وذلك تحت اسم « وحدة الثقافه » فالمعارف عامة والعقائد خاصة . ولكل امة عقيدتها والعقائد كالثقافات تستمد مقوماتها من قيم الأمم واخلاقها .

وللامة العربية عقائدها التى تتصـــل بدينها وطبيعة تكوينها اما المعارف فهى عالمية عامة ليس لها طابع قومى او وطنى .

ومن هنا فان الدعوة الى التفرقة بين المعرفة والعقيدة

هى عمل من اعمال الاصالة الفكرية والمحافظة على الذات وحماية العقائد التى تقوم الأمم باستنباطها من اديانها وقيمها ومثلها العليا ، وفى مجال العرب والمسلمين نجد ان عقائدنا لها طابعها الخاص المستمد من القرآن والاسلام ولنا نظرتنا التى تصوغها عوامل كثيرة شكلت هذه الامة قوامها التوحيد والنبوة والغيبيات والارتباط الكامل بين القلب والعقل والعلم والدين والدنيا والآخرة وتقوم الاخلاق فيها باقامة حزام شامل او قاسم مشترك اعظم على مختلف القيم والمقومات فى مختلف ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والتربية .

ومن حقنا فى ضوء قيمنا ان ننظر فى المعارف العالمية وان نأخذ وندع ، دون ان تفرض علينا فلسفة ما او نظرية ما او مذهب من المذاهب التى تصطرع فى الثقافات العالمية والفكر البشرى .

ومن حق كل امة لها ثقافتها الخاصة وفكرها المستمد من مقوماتها ودينها ان تشكل عقائدها على النحو الذى يتفق مع ذاتيتها الخاصة وتستمد وجوده من كيانها ويصدر عن مواجها النفسى والاجتماعى .

١٨ ــ الفلسفة والعلم

هناك شبهة اخرى تتصل بالفلسفة والعلم ، ذلك ان دعاة التغريب يحاولون القول ادعاءا بأن هذه المذاهب الفلسفية المنثورة هى علم خالص ، والحقيقة ان هناك فارقا عميقا بين العلم وبين الفلسفة .

وكتوطئة للتفصيل نقول ان مختلف نظريات المعرفة الآن تجرى فى مجال علمى وتعتمد على الاحصائيات والتجارب والنظريات العقلية والتجريبية غير ان مجال النظريات الانسانية يتعذر معه ان تقوم الدراسات فيه على النحو العلمى المعملى التجريبى ، لانه يتصل بالنفس والانسان والعقل والقلب والغرائز والروح ، وهذه كلها قوى معترف بها ولكنها لا تخضع للمعمل ، ولذلك فان الابحاث فى مجال النفس والاخلاق والاجتماع والتربية لا يمكن ان تقوم على اساس علمى بمعنى التقدير المعملى والتجريبى ، وقد تقرر ان هذه النظريات الانسانية هى « فلسفة » وليست « علما » ومن هنا فان ما تصدر عنه ليس علما خالصا يمكن ان يقال انه حقائق ثابتة مقررة تقبل كقوانين ويسلم بها تسليما صحيحا وانما يكون « العلم » قاصرا فى الحقيقة التى يقررها المعمل فى مجال الطبيعيات والكمياويات وعلوم الطب وغيرها من العلوم .

أما بالنسبة لدراسات النفس والاخلاق والاجتماع فانها لا تخضع لذلك ولا يجوز ان يقال لما يصل اليه الباحثون فيها انه حقائق علمية ثابتة مقررة .

وغاية ما يقال فيه انه وجهة نظر فيلسوف ونظرية قابلة للصواب والخطأ ، وقد تصدق فى بيئة ولا تصدق فى اخرى وقد تصلح لعصر ولا تصلح لعصر آخر .

ولذلك فان وصف نظريات اجتماعية او نفسية ما بانها علم ، هو قول لا يقره العلم نفسه ولا يقول به اصحابه .

ولابد لنا في مجال الفكر الاسلامى والثقافة العربية ان نكون حريصين اشد الحرص على هذه التفرقة وعلى معرفة ما هو علم وما هو فلسفة .

وأن نكون على ثقة بأن كل أمر غير « القرآن » والسنة والصحيحة عن الرسول الامين المؤيد بالوحى ، يؤخذ منه ويرد عليه وليس لها شبهة قداسة او تسليم كامل مع ملاحظة ان بعض النظريات العلمية التجريبية التى ثبتت سنوات طويلة قد جاءت اليوم نظريات اخرى هدمتها كنظرية الجوهر الفرد وغيرها .

١٩ ــ الثقافة والحضارة

من الشبهات الخطيرة المثارة والتى كثر ترددها القول بترابط « الثقافة والحضارة » .

وأن على الامم التى تأخذ الحضارة الغربية ان تأخذ الثقافة ايضا ، ذلك لانه لا سبيل الى التفرقة بينهما .

ومن الحق ان يقال في هذا المجال ان الامم حين تقتبس من امم اخرى لا تنقل الثقافة ، ولكنها تنقل الحضارة الممثلة في الوسائل المادية في الحياة الاجتماعية ، اما الفكر فلا سبيل الى نقله ، لان لكل امة فكرها وتجربة اوربا مع الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى قد سبقت على الطريق ، فقد نقل الغربيون الحضارة الاسلامية وترجموا العلوم ونقلوا المعامل وادوات التجارب ولكنهم لم يقبلوا الفكر الاسلامى المستمد من القرآن والتوحيد ، واقاموا فكرهم وثقافتهم على اساسها

القديم المستمد من الفلسفة اليونانية الافريقية ، وجاءت استمداداتهم من الفكر الاسلامى خالية من طابع هذا الفكر ، فقد جردوها وصهروها فى ثقافتهم وكيانهم ، فلم يتحولوا بها ، فلماذا لا يقف المسلمون مثل هذا الموقف ويقلدوا الغرب فى هذه الخلة ، وذلك هو الامر الطبيعى للامم والثقافات والاتجاه الصحيح لعلاقات الحضارات بين الشعوب .

فالقول بأن على العرب والمسلمين ان ينقلوا الحضارة وثقافتها « ما يحمد منها وما يعاب ! » هو قول باطل مغرض وهو صوت التغريب والغزو الثقافى ، وهو ليس خالصا لوجه الحق ولا وجه العلم ولا خالصا فى نصح هذه الامة ، ولكنه زيف وغش يراد به صهر هذه الامة فى اتون الفكر الغربى ، وتحويل الفكر الاسلامى الى فكر تابع ذليل قد سقطت عنه مقوماته وذاتيته وذاب فى الاممية والشعوبية العالمية وهو امر لن يحدث فى الاسلام ، وجذوره العميقة التى لا يمكن ازالتها ولان المسلمين والعرب قد بلغوا مرحلة الرشد الفكرى فلم يعودوا يخدعون عن راى مضلل مزخرف ، فضلا عن الثقة الكاملة باشارة القرآن (**نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)

٢٠ ــ قولوا من كتب اولا

من اخطر ما يواجه الباحث والقارىء الاسلامى وجود مؤلفات ودراسات وموسوعات كثيرة عن الاسلام والفكر الاسلامى كتبتها اقلام عربية او اجنبية ، لاغلبها شهرة ودوى فاذا اراد الباحث او القارىء ان يتعرف الى شىء من التاريخ او الفقه او اللغة سارع الى مثل هذه « المراجع ! » فنظر فيها وظن انه بذلك قد وصل الى مقطع الراى فى الامر الذى

يبحث عنه . والحق ان المنهج العلمى للبحث والمراجعة لهـا أصول وقواعد تقـوم على أساس التعرف الى امرين الى شخصية الكاتب اولا ثم الى سلامة النص .

وليست شخصية الكاتب هنا تكون موضع الثقة لانها مشهورة او لامعة او يجرى تداول اثارها ، فان حـركة الغزو الثقافى والتغريب قد اثارت حول بعض كتابها واتباعها ضجيجا وشهرة وحاولت به ان تدغم مراكز هؤلاء فتصبح كتبهم مراجع موثوقا بها ، ومن هنا فقد كان علينا ان نتواصى ونوصى ابناءنا وتلاميذنا دائما ان يعرفوا من كتب اولا ، وان نعرض هؤلاء الكتاب على مقاييس الجرح والتعديل التى عرفها فكرنا الاسلامى منذ وقت بعيد وحقق بها اصدق نظرة علمية فى تقدير الكتاب وما يكتبون .

والمسلم لا تهزه الاسماء اللامعة ، ولكن يهزه الحـق والصدق ، وهو يؤمن اساسا بأنه ليس هناك حق صـادق موضع الثقة غير القرآن المنزل وكلام الرسول المعصـوم « السنة الصحيحة » وما دون ذلك فهو شىء (يؤخذ منه ويرد عليه) ويقبل ويرفض ، ويعرض جميعه على أصول القرآن ومنطقه ومنهجه فان اتفق معه قبه والا رفض ، اما الاسماء اللامعة والمراجع ودوائر المعارف وغيرها من كتب فانها يجب ان تكون موضع نظر ، فان هناك شرا كثيرا لحق بهذه الاعمال

٢١ ـ الاحجار والبطولة

تختلف نظرة الفكر الاسلامى عن نظرة الفكر الغربى فى امور كثيرة ، وفى مقدمتها « البطولة » وتقديرها والاحتفاء

بها ، فالاسلام لا ينظر الى البطل او العظيم بقدر ما ينظر الى (العمل) الذى قدمه ، ولذلك فهو حين يحتفى بالبطل يعيد الذكر والتقدير لعمله ، ويدعو الى الانتفاع به ، وهذا هو السر الصحيح الواضح وراء انصراف الاسلام عن الصور والتماثيل كوسائل لتكريم الأبطال .

ذلك ان تلك الاسماء الكثيرة التى تتردد فى الغرب على انها آلهة وانصاف آلهة ، مما اورده اليونان والرومان وغيرهم هؤلاء جميعا لم يكونوا فى الاصل الا ابطالا اعجبت بهم امتهم وتعلقت بهم ثم شاعت بعد ذلك ان ترفعهم من مقامهم الانسانى الى مقام التاليه .

وانصرفت عن مفهوم التقدير العملى لعمل البطل الى عبادة البطل نفسه . وبذلك نشأت عبادة جديدة صرفت الناس عن العبادة الاصلية وهى عبادة الله الواحد الاحد .

وقد اصبحت عبادة الابطال ، وعبادة الجمال ، وتاليه الانسان عبادات تتفق مع طبيعة النفس الغربية التى استمدت مفاهيمها فى العصر الحديث من الوثنية اليونانية .

ومن هنا فقد حرص الاسلام على تحرير اهله من عبادة الفرد ، او عبادة شيء ما ، الا الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا كان حرص القرآن على ان يصف اعظم شخصية عند المسلمين وهو محمد صلى الله عليه وسلم النبى المؤيد بالوحى بأنه بشر ، وانه يحيا ثم يموت وانه رسول ، يدعو الناس الى الدين الحق والى عبادة الواحد الأحد ، ومن هنا

حفظ الاسلام مفهوم البطولة من الانحراف الى عبادة الفرد ، وحفظ عبادة الله من الوثنية او الشرك .

لقد رفع الاسلام عن الفكر الانسانى والعقل الانسانى القيود وحرره من الاصفاد ، ولم يجعل للاحجار والتماثيل والاصنام مكانا فى ايمانه القائم على « التوحيد » الخالص

٢٢ ـ كتب المحاضرات ومكانها فى الحديث العلمى

من اخطر ما يواجه الباحث المسلم والقارىء المسلم تلك النظرة الساذجة التى لا يستطيع معها ان يفرق بين الجوهر والعرض فيما يقدم له من التراث الاسلامى العربى

فهناك كتب الاصول وهناك : كتب المحاضرات والتسلية وبينهما فارق كبير ، والبحث العلمى يجب ان يقوم على كتب العصر الاول التى استمد منها من جاء بعد ذلك من الباحثين فقد القى الى الفكر الاسلامى بعد القرن الثانى فكر غريب عنه من مترجمات اليونان الوثنى ، ومن مترجمات المجوسية الفارسية القديمة ومترجمات الغنوصية الهندية ، وقد كانت هذه الفلسفات والمفاهيم بعيدة عن التوحيد قائمة على اصول حاربها الاسلام وقاومها ، ولقد وقع الصراع بين حقيقة الاسلام ، وبين هذه الفلسفات وامتد طويلا ، ثم انتصر الاسلام من بعد ، غير ان هذه الكتب وهذه الآراء مازالت موجودة ، وقد بحث عنها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب واعادوا طبعها ليثيروا بها الشبهات من جديد فى فكرنا .

ومن هنا كان من الضرورى التيقظ للمصدر والمرجع

والتراث القديم ، ولقد حاول بعض كتاب الادب والنقد تقديم كتب المحاضرات الى الباحثين فى الجامعات وكليات الادب ، ومن اجل اتخاذها مراجع يعتمد عليها فى اقرار شبهات او افساد القيم العربية الاسلامية ، ومن هذه الكتب : الف ليلة والاغانى وكليلة ودمنة ورسائل اخوان الصفا وما جمعه الرواة من أحاديث واكاذيب واضاليل مما اشار اليه ابن النديم فى كتابه الفهرست وهو من القصص الذى كان يدور على الالسنة وليس له اى سند علمى صحيح .

ولو راجعنا تاريخ ابتعاث هذه الكتب واعادة طبعها لعرفنا أن الذين قاموا بذلك هم المبشرون والمستشرقون وخريجوا معاهد الارساليات وان ذلك كله كان ضمن خطة واضحة مجددة يراد بها اغراق الدراسات العلمية بشكل مضطرب ومشكوك فيه واعطائه صفة المراجع العلمية .

٢٣ ـ الف ليلة والاغانى

يعد كتاب الف ليلة والاغانى فى مقدمة الكتب الخطيرة التى حاول الغزو الثقافى التركيز عليها واعطائها صفة المراجع العلمية والتى قدمها كثير من الباحثين لطلبتهم ، واعتمدوا هم عليها فى اقرار احكام باطلة ومن ذلك هذا الحكم الذى اصدره احد الكتاب (١) معتمدا على كتاب الاغانى وحده من ان العصر الثانى الهجرى (كان عصر شك ومجون) وقد تجاهل هذا الكاتب ان الاغانى ليس كتاب تاريخ وانه لم يكتب الا عن شىء واحد هو الاغانى بينما كانت الحياة

---

(١) الدكتور طه حسين .

الفكرية والاجتماعية فى العصر الثانى الهجرى تزخر بفنون مختلفة من الفقه والادب واللغة والتصوف والزهد والعلم التجريبى ومباحث الاقتصاد والسياسة ، وكان هنالك عشرات من الباحثين والعلماء ، يمثلون واجهة هذا المجتمع ، ولم يكن امثال ابى نواس وبشار وغيرهم من الماجنين الا ذيولا لهذا المجتمع فمن الخطل اعتمادهم مصدرا لاقرار حكم على عصر بكامله ".

٢٤ ــ شعر عمر الخيام

هنالك بعض الاخطاء المتعمدة والمغالطات المقصودة ، التى تذاع فى براعة وتبث فى مكر عميق ، تستطيع ان تثبت فترة وتستشرى فى غفلة من الحق ، طالما أن أصحابها يرعونها ويحمونها ويدافعون عنها ، وطالما يقف الناس فى استسلام لا يقره الاسلام امام اى ظاهرة من الظواهر ، فنحن لن نستطيع ان نحقق مفهوم اليقظة والمواجهة للغزو الفكرى الا اذا كنا فى يقظة كاملة امام اى فكرة جديدة تلقى الينا ، ومن أخطر هذه الشبهات ما حاول الاستعمار أن يضيفه الى عمر الخيام العالم الفلكى الإسلامى البارع .. من نسبة شعر وثنى اليه يحمل صورا عاصفة من الإلحاد والإباحة والدعوة الى التحرر من القيم والاندفاع فى مجال الرغبات والاهواء .

ولقد صيغت هذه المؤامرة فى براعة فائقة ، عن طريق الشاعر الانجليزى (فتزجيرالد) ادعى انه وقع على شعر قديم بالفارسية للخيام وانه ترجمة الى اللغة الانجليزية ومن ثم اذيع هذا الشعر وجرى على الالسنة وانتدب له فى العربية من ترجمه واهتم به من امثال الزهاوى والصافى النجفى وابو شادى وغيرهم .

وتجرى هذا الشعر على الالسنة وفى الاغانى واحتفل به الاستعمار البريطانى بخاصة ففتحت الاندية فى بريطانيا وفى اجزاء كثيرة من العالم تحت اسم عمر الخيام ، ووضعت طوابع البريد والبطاقات ، واطلق اسمه على فنون من المشارب والاقمشة وغيرها .

وقد نفى هذا الشعر الى النفس العربية والذاتية الاسلامية لتحاول ان تطعنها فى صميم مفهومها للتوحيد والايمان بالله لتنحرف بها الى مفاهيم الوثنية الفارسية القديمة المستمدة من المجوسية والفلسفة الهندية القديمة ، ويقوم على ايثار اللذة والمتعة ، وافكار الجهاد والقوة وسلامة الشخصية الاسلامية القادرة دائمة على المقاومة وحماية الثغور ومواجهة العدو المتربص .

ولقد كان بالطبع للصهيونية العالمية دورها من وراء الاستعمار فى نشر هذا الشعر وترجمته الى مختلف اللغات .

غير ان بعض اهل الحق وفى مقدمتهم العلامة مبشر الطرازى الحسينى الافغانى الملم بالادب الفارسى والعليم بتيارات التغريب ، لم يلبث هذا العلامة ومعه آخرون من الغيورين ان كشفوا عن هذه المؤامرة المدمرة ليس لافساد مكانة عمر الخيام وحده ، بل لوضع مثل هذه الشخصية الكبرى فى نظر المسلمين فى مكان الداعى الى اللذة والشهوة واذاعة هذا الانحلال الذى يتنافى ساسا مع مفاهيمه الاسلامية وقيم القرآن وما عرفه المسلمون من طوابع للذاتية الاسلامية

والمزاج النفسى الذى صنعه لهم محمد صلى الله عليه وسلم وجرى عليه أئمتهم من بعد .

٢٥ ــ التصوف ومفهوم الاسلام

يجرى الحديث فى الابحاث المختلفة حول التصوف دون رؤية بعيدة او عميقة للتفرقة بين نوعين منه . النوع الاول هو تصوف الاسلام والثانى التصوف التاريخى الذى نسب الى أمثال الحلاج وابن عربى والسهروردى وغيرهم .

وهنا لابد من لتفرقة الدقيقة بين مفهوم الاسلام للزهد والتصوف والعزوف عن متاع الدنيا وهو مفهوم يستمد اساسا من القرآن ومن آياته المحكمة ، ومن سيره رسول الله وسنته الصحيحة . وهو مفهوم غاية فى القوة والكرامة واعلاء الشخصية الانسانية وترفيعها ودفعها الى مكان السيادة فى السيطرة على الاهواء والنزوات من ناحية والايمان العميق الله وفضله وبيع النفس خالصة لله فى مجال الجهاد والدفاع عن الحق ومقاومة الغزو وحماية النفس الانسانية من الانهيار تحت ضربات الشهوات والمطامع .

وقد استهدف الاسلام بذلك خلق نماذج عالية من البطولة الانسانية والشخصية الربانية ، التى عرفها تاريخ الاسلام فى الخلفاء الراشدين وابطال الحروب وقادة الفكر واعلام الجماعة الاسلامية .

هــذا شىء واضح ، ومختلف اختلافا عميقا عما يرد

فى التاريخ الاسلامى مما يوصف بالتصـــوف الاسلامى متمثلا فى شخصيات ومواقف قامت على اساس الفلسفة الوافدة من المدارس الافلاطونيه المحدثة ومن المجوسية ومن مفاهيم الهنود القدماء القائمة على وحده الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من صور الغنوصيه كالاشراقية وغيرها .

فالاسلام فى ذاتيته المفردة ، المختلفة عن جميع المذاهب الفلسفية والمفاهيم الروحية التى قد توصف بانها دينية او عقائدية ، يقف وحده قيما على مفهوم التوحيد الخالص ، الذى يقر لله الواحد الاحد كل السلطان والقوة والعلم ولا يشـــرك معه فى ذلك احدا من خلقة ، نبيا كان او وليا ، وهو قائم بنفسه فيفصل عن الكون لا يتحد معه .

هذة هى الحقيقة التى يجب ان نستحضرها دائما ونحن ننظر فى تاريخ التصوف الاسلامى ، وفى الحديث عنه ، فللاسلام تصوفه المستمد من اصوله والقائم فى ظل التوحيد الخالص ، اما ما اضطرب فيه المسلمون من بعد حول الفلسفات او حول التصوف الفلسفى او حول الاعتزال وعلم الكلام فذلك كله يؤخذ بحذر شديد وينظر اليه فى ضوء القرآن وفهم الرسول وتصرفه ، الذى لم يدع امرا من امور المسلمين الا ووضع اساسه قبل ان يختار الرفيق الاعلى (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**) .

٢٦ ـــ المعتزلة ومفهوم الاسلام

يتحدث المستشرقون كثيرا عن المعتزلة فى تقدير شديد واعجاب بالغ كانما هم وحدهم مفكروا الاسلام وكل ما عداهم

ليس شيئا مذكورا ، ويتابعهم فى هذا كثير من التغريبيين ودعاة الغزو الثقافى ، بل انهم ليذهبوا الى ابعد من ذلك فيزون ان السر فى ضعف المسلمين ووقوعهم فى مرحلة التخلف هو توقف عمل المعتزلة .

وهذا القول فى ذاته مغالطة كبيرة وهو بعيد عن الحقيقة ، التى يجب ان ننظر اليها من خلال ابعاد الفكر الاسلامى كله ، فليس الاعتزال فى الاسلام الا مرحلة من مراحل التشكيل والبناء ، وهى مرحلة كانت لها اهميتها فى اول الامر ، عندما كانت تعمل لمواجهة دعاة الاديان الاخرى عن طريق الفلسفة والمنطق ، وقد ادت دورها وانتهى امرها بانتهاء هذه المرحلة ودخول اهل الدولة الإسلامية فيه ، اما امتداد الدعوة من بعد ، واتساعها وتوغلها فى ميادين خطيرة ، ومحاولة اعلائها للعقل وحده ، والاسراف فى هذا الاعلاء ، ثم اتصالها بالنفوذ والسلطان لتفرض مفهوما معينا على الناس جميعا فهنا يبدو خطر هذه الدعوة وخروجها من جلدة الحق ، وذلك بمن انضوى تحت لوائها من خصوم الإسلام من الباطنيين والمجوسيين واليهود الذى كانوا يعيشون وراء مثل هذه الدعوات ويعملون لهدم الاسلام من خلال حملتهم لهذه المفاهيم الضالة .

ولقد ركزت المعتزلة على الفلسفة اليونانية وهذا هو سر اعجاب المستشرقين والمبشرين بها ، لانها كانت المحاولة الكبرى لاخراج الاسلام عن جوهرة وذاتيته ودفعه الى نفوذ الفلسفة اليونانية لتغتاله بعد ان اغتالت اليهودية والمسيحية الغربية من قبل .

ولكن الاسلام بسلامة جوهره ووضوح ذاتيته استطاع بعد معارك طويلة ان ينجو من سيطرة الفلسفة اليونانية ومن سيطرة الاعتزال وعلم الكلام والتصوف الفلسفي جميعا ذلك لان الاسلام قد حدد منهج المعرفة الاسلامي على اساس واضح : هو ثقافة القلب وثقافة العقل معا ملتقية منصهرة ، وهي في ذلك تستمد اساسها من الانسان نفسه فهو روح ومادة وعقل وقلب ، ولذلك فان اى محاولة في الفكر الاسلامي او المجتمع الاسلامي حاولت ان تعلي من شأن العقل وحده كالمعتزلة او من شأن الوجدان والقلب وحده كالتصوف الفلسفي والاشراقي قد سقطت لأنها لا تتفق مع طبيعة الاسلام وذاتيته ومزاجه النفسي والاجتماعي .

٢٧ ـ الاخلاق في الاسلام ومفهوم الفلسفات

ان الاخلاق في مفهوم الاسلام شيء اكبر من ان يكون عنصرا او فرعا من فروع الحياة انه عامل مشترك على مختلف عناصر الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون .

ولقد جاء الاسلام : (عقيدة وشريعة واخلاقا) منهجا كاملا للحياة مترابطا تمام الترابط ، متكاملا متوازيا لا يصلح جانب فيه دون الجانب الآخر ، او منفصلا عن الاخر .

والاخلاق في الاسلام تختلف عن مفهوم الفلسفات التي سيطرت على بعض الاديان والمذاهب ، فهي ليست نظرية وليست منفصلة عن العقيدة ، فهي تستمد وجودها من الايمان بالله ومن الترابط بينها وبين المعاملة والشريعة .

ولقد حاول بعض فلاسفة الإسلام أعلاء شأن مفاهيم الفلسفة اليونانية حين ترجم تراثها وحاول البعض الربط بينه وبين الفكر الاسلامى ، ولكن الاسلام كان قد اقام قانونه الاخلاقى مستمداً من القرآن على أساس التقوى والعمل ، ولذلك فالاخلاق الاسلامية لا تؤمن بتعبير « السعادة » الذى يتردد فى الفلسفة اليونانية فالتقوى هى ابرز معالم الاخلاق الاسلامية : اتقاء الخطر والمحظور والحرام والشر والنزول عن الحق الطبيعى والمكتسب فى سبيل الآخرين والحفاظ على الذات الانسانية كريمة عالية بعيدة عن عوامل التدمير التى تفرضها عليها الشهوات والمطامع ، سواء فى مجال التعامل المادى او مجال الطعام او الحس .

ولقد كانت الاخلاق اليونانية اخلاق نظرية خالصة منفصلة عن واقع الحياة ، وكانت الاخلاق فى فلسفات المجوسية والهندية زاهدة منعزلة عن المجتمع وكلاهما لا يعترف بواقع الحياة بينما يقوم مفهوم الاخلاق فى الاسلام على ارض الواقع وعلى اساس الاعتراف بالامور الحسية وقد وضحت فى النص القرآنى (**فاتقوا الله ما استطعتم**) واقام الاسلام نظرية الاخلاقية على اساس ارضاء الغرائز فى حدود الشرع ، دون الاسراف الذى يدمر الشخصية أو يجعل من الانسان عبداً للاهواء .

٢٨ ــ فلنحذر دوائر المعارف

ما تزال دوائر المعارف التى ايدى الشباب العربى والاسلامى والتى كتبت باقلام اجنبية مليئة بالاخطاء والشبهات وهى اغلاط بعضها مقصود ضمن مخطط التغريب والغزو

الثقافى ، وبعضها نتيجة القصور عن فهم الاسلام والقرآن والمزاج النفسى العربى الاسلامى .

ولذلك فقد كان من الضرورى ان ينظر شبابنا فى حذر الى هذه المؤلفات كمراجع يعتمد عليها ويعتد بها ، واغلب كتاب هذه الموسوعات من المبشرين والمستشرقين الغالين وقد كتبوها لرجالهم الذين اعدوا للعمل فى البلاد العربية والاسلامية ، وقامت فى الاغلب على مفهومهم الغربى للدين والعقائد والاخلاق وعلى مفاهيمهم فى تفسير التاريخ وفى ظل نظرياتهم السياسية والاجتماعية والتربوية والقانونية المستمدة من الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والمسيحية ومن وثنيات الامم القديمة كالفراعنة والفرس واليهود ، وهى فى مجموعها تختلف عن جوهر الاسلام القائم على التوحيد والحق والعدل والاعتراف بالغيب والنبوة والبعث والجزاء .

وما زلنا حتى الآن نتطلع الى دائرة معارف عربية اسلامية نواجه بها الاخطاء الكثيرة التى تحفل بها دائرة المعارف الاسلامية وقاموس المنجد والموسوعة العربية الميسرة وغيرها مما يعتمد عليه فى مدارسنا وجامعاتنا ككتاب بروكلمان وفيليب جتى ، ومن خير الموسوعات الجديرة بالمراجع دائرة **فريد وجدى والقاموس الاسلامى لأحمد عطية الله والقاموس السياسى له ايضا .**

وقد اعطانا الاسلام قاعدة نلتزم بها فى مناهج البحث العلمى هى التعرف الى الرجال الذين نأخذ عليهم ، عارضين اياهم على قانون (الجرح والتعديل) فلا نقبل منهم اذا كانوا قد اتهموا بالزندقة او التبعية للتغريب او النفوذ الاجنبى .

٣٠ ــ منهج المعرفة فى الفكر الاسلامى

ما يــزال نفوذ التغريب يغرى المسلمين بنظــريات مضطربة فيها بلبلة خطيرة فهو يعلى احيانا من شأن التصوف الفلسفى ويترجم ترجمات واسبعة للحلاج وابن عربى وغيرهم محاولا ان يجعلهم صورة لمفهوم الإسلام ؛ بينما يقــوم مستشرقون آخرون بالاهتمام بالمعتزلة وأعلاء شأنهم وقد جرى كثير من كتابنا ومفكرينا وراء هؤلاء دون وعى لحقيقة مفهوم منهج المعرفة الاسلامى.

والواقع أن المعتزلة والصوفية كلاهما لا يمثلان مفهوم المعرفة فى الفكر الاسلامى ؛ اذ ان المعتزلة كانت تعلى من شأن العقل وقد بلغت فى ذلك اقصى درجات المغــالاة بينما اعلت الصوفية من شأن القلب والوجدان واعتبرتهما سبيلا وحيدا الى المعرفة .

بينما الاسلام يقرر منهج المعرفة فيه على اساس العقل والقلب معا ويقيم مفاهيمه على اساس ترابط الروح والمادة والدنيا والآخرة ، وهو لا يقر مفهوم العقل وحده فالعقل لا يستطيع ان يحكم فى كل القضايا كما لا يقر مفهوم القــلب وحده فان قضايا المجتمع الاسلامى جماع بين عالمى الغيب والشهادة .

ولقد تعددت نظريات الفلاسفة حول منهج المعــرفة عن طريق الوجدان او عن طريق العقل ولكن مفهوم الاسلام الاصيل المستمد من مصادره ومنابعه الاصيلة إنما يستمد منهما معا فى جماع وموائمة وترابط وتكامل مصدره الانسان

تفتنه . فما دام الانسان يجمع فى كيانه بين المادة والروح ، وبين العقل والقلب فان المعرفة تقوم عليهما معا .

ولقد ذهب الغربيون الى اعلاء العقل وحده وانكروا الغيبيات بينما ذهبت الفلسفة الشرقية الغنوصية الى اعتماد مفاهيم الوجدان والبصيرة وحدها وكلاهما يختلف مع جوهر الاسلام واصوله .

ولربما أشاد المستشرقون بالمعتزلة من اجل اتصال مذهبهم بالفلسفة اليونانية وكان لهم مطمع فى ان تأكل الفلسفة اليونانية الأسلام كما أكلت من قبل المسيحية واليهودية ، ولكن المسلمين الذين صارعتهم الفلسفة اليونانية طويلا لم يلبثوا ان انتصروا وحققوا منهجهم وجاء الامام العظيم ابن تيمية فكتب كتابه (الرد على المنطقيين) وهاجم مفهوم الفلسفة اليونانية جملة وكشف عن ان للقرآن منطقا خاصا ومفهوما ذاتيا متحررا من الوثنية الاغريقية ومن الغنوصية الشرقية .

٣١ — نظرية وحدة الثقافة أو (الثقافة العالمية)

من اخطر محاولات التغريب والغزو الفكرى ، دعوى ما يسمى بالثقافة العالمية ووحدة الثقافة الانسانية وهى احدى مخططات الصهيونية العالمية والاستعمار الغربى ذلك ان لكل امة ثقافتها التى تستمد من مقومات وجودها وعقائدها وفكرها وتراثها ولغتها ، وان أمة من الأمم ما دامت قد بلغت درجة الرشد الفكرى والتحرر من التبعية لا تستطيع ان تذوب فى ثقافة امة اخرى او تعتنق فكرها .

والثقافة تختلف عن المعرفة العامة وعن العلوم ، فالمعارف والعلوم هى نظرات عامة شاملة لكل الامم والشعوب ،يمكن استعارتها واستيرادها ، وهى ملك للحضارات والمدنيات فكلها قد شاركت فيها على مدى التاريخ الطويل ، ولكن الثقافة ليست كذلك ، الثقافات قومية ، مرتبطة بالامم ، والعرب لهم ثقافتهم المستمدة من الاسلام والقرآن والشريعة الاسلامية واللغة العربية وتلك الذاتية المؤمنة القائمة على التوحيد والعدل .

ولذلك فانه من اكبر صور الخداع والمؤامرات ان يقال ان هناك ثقافة عالمية أو وحدة للثقافة الانسانية تجمع الأمم جميعا ، وانه اذا كانت توجد هذه الثقافة فان دورنا فيها سيكون دور التابع ، الخاضع للكيان الضخم الذى تفرضه الثقافة الغربية ، وهو دور لا نقبله ولا نرضاه ولقد كانت الثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى ذات دور عالمى وانسانى فعال ولا يزال اثرها واضحا وقويا فى الحضارة الحديثة والفكر البشرى كله الذى لا يمكن ان يلتقى عى وحدة ولكنه يتقبل ما يتناسب معه ان الثقافات المختلفة دون أن ينصهر فيها او ينطوى داخلها .

ولقد طرحت الصهيونية شعار الثقافة العالمية كهدف من اهدافها الرامية الى تدمير ثقافات الامم ، وتحطيمها من داخلها وفرض تلك النظريات الفلسفية التى دمرت الحضارة الغربية ومنها الوجودية والفرويدية والماركسية .

٣٢ ــ اللغة والانفصال عن القرآن

هناك محاولات لتقييم اللغة العربية وفق مفهوم اللغات

الاوروبية بأنها ملك للامم ومن حق الامم تطويرها وتعديلها والحذف منها ، واعلاء العاميات واتخاذها لغات قومية بين جيل وجيل ، ولكن اللغة العربية دون لغات الارض جميعا لا تخضع لهذا المنطق ولا لهذه النظريات ، وذلك لأمر واحد هو ارتباطها بالقرآن ، الذى حفظها خمسة عشر قرنا فابقى فكر القرن الاول حيا نابضا لقارىء اليوم دون ان يحتاج الى معين ، بينما لم يحدث ذلك لاى لغة من اللغات الحية اليوم التى لا يبلغ تراثها اكثر من اربعة قرون منذ اختفت اللغة اللاتينية وظهرت عاميات الفرنسين والانكليز والالمان واصبحت لغات .

ان اللغة العربية هى لغة امة ولغة فكر ، فمن حيث هى لغة امة هى الامة العربية تعد حافظة لوحدة شعوب هذه الامة وفكرها وتراثها ، ومن حيث هى لغة فكر فهى لغة المسلمين فى مختلف انحاء الارض ويبلغ عددهم اليوم سبعمائة مليونا تجمعهم جامعة القرآن والسنة والفقه وكلها من ميراث اللغة العربية .

ولقد كانت اللغة العربية هدفا من أخطر أهداف النفوذ الاجنبى ولذلك فقد ركز عليها فى محاولات لاثارة العاميات فى مختلف أنحاء العالم العربى عن طريق الاذاعات والقصص والمسرح ، وكلها محاولات لن تؤدى الى تفكيك اللغة العربية او دخولها المتحف ، وسيظل القرآن يحفظ لها وحدتها وقوتها وكيانها .

وان الدعوة الى اقامة لغة وسطى بين العامية والفصحى هى احدى محاولات الغزو الفكرى وليس الهدف منها الا انزال

العربية المكتوبة درجة من طابعها الذى يجرى مع بلاغة القرآن . والهدف هو فصل اللغة فى مستواها البلاغى عن القرآن وبذلك تنهدم ركيزة من ركائز الاسلام وهى اضعاف فهم للقرآن واستيعابه . وهو أمر هام وخطير ويحتاج الى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها فاللغة فكر اساسا والعربية الفصحى مرتبطة اساسا بذاتية الاسلام ومزاجه النفسى والاجتماعى .

٣٣ ـ فترة لضعف وليس عصر الانحطاط .

من اخطر ما وجه الى عصر التجميع الذى وقع بعد سقوط بغداد وحتى قبل النهضة الحديثة التى بدات باليقظة العربية الاسلامية من قلب الجزيرة العربية وليس بالحملة الفرنسية كما يردد التغريبيون ، اقول ان من اخطر ما وجه الى هذه الفترة عبارة (عصر الانحطاط) وهى كلمة بداها المستشرقون والمبشرون ودعاة التغريب من رجال الارساليات التبشرية التى انتشرت فى العالم العربى والاسلامى .

والحق ان هناك فترة ضعف فى تاريخ العالم الاسلامى وهى مرحلة لا تزيد عن قرن ونصف قرن من الناحية السياسية وذلك خلال ضعف الدولة العثمانية كالجزائر ومصر ، غير أن هذه الفترة لم تكن مطلقا فترة انحطاط فكرى فقد برز فيها عدد من الموسوعيين الأعلام الذين جمعوا الفكر الاسلامى فى موسوعات متعددة فحفظوه بها وحموه من التشتت والضياع ومهما وجه الى هذه الموسوعات من نقد لضعف التبويب او نقص التحليل فانها تمثل عملا ضخما لا يمكن ان يوصف عصره بأنه عصر انحطاط ، لقد كانت كلمة الانحطاط

من كلمات الحقد الغربى والتعصب الموجهة الى الدولة العثمانية التى أرقت أوربا أربعمائة عام وحطمت مؤامراتها على العالم الاسلامى وحالت دون استئناف الحملات الصليبية مرة اخرى .

ان هناك كلمات ومصطلحات يجرى ترديدها فى كتب التاريخ والادب قد دست بغرض تحطيم معنويات هذه الامة وعلينا ان نتحرر من هذه الالفاظ وان نصحح المفاهيم .

٣٤ ـ اسقاط الحضارة الاسلامية

هناك محاولة متعمدة الى تجاهل الحضارة الاسلامية واسقاطها من التاريخ العالمى عندما يجرى الحديث عن النهضة والحضارة . ذلك ان الغرب يحاول دائما ان يربط الحضارة بأرضه وفكره فيرى ان الحضارة الرومانية قد سقطت فى القرن الخامس وان عصر النهضة فى الحضارة الحديثة قد بدأ فى القرن الخامس عشر ، ويطلق على الفترة الواقعة بين الفترتين (العصور الوسطى المظلمة) وفى هذا التصور تجاهل لعشرة قرون كاملة كان للاسلام والحضارة الاسلامية اكبر الاثر فى ابراز حضارة جديدة قامت على العلم والخلق معها واتخذت منطقها من التوحيد ، واضاءت العالم كله واعطت البشرية نهجا كريما وطرحت على العالم كله قيما غاية فى القوة والعدل والحق كانت تفتقدها ولذلك فانها سرعان ما شكلت مجتمعا ضخما واسعا امتد من الصين الى حدود فرنسا فى قلب اوربا فى فترة لا تزيد عن سبعين عاما وهو حدث ما يزال موضع دهشة الباحثين والمؤرخين .

والحضارة الاسلامية المستمدة من القرآن هى التى قدمت الى الانسانية « المنهج العلمى التجريبى » ومنهج المعرفة القائم على ترابط العقل والقلب ، وعن طريق الاندلس العربية المسلمة استطاعت اوربا ان تنقل معطيات الحضارة الاسلامية فى العلم والفكر والمجتمع ، ومنها انطلقت حركة النهضة التى صنعت مقررات الحضارة الحديثة .

غير ان التغريب والتبشير والغزو الاستعمارى يحاول دائما ان يغضي عن هذه الحقيقة الضخمة على اساس ان الجنس المزهو المستطيل بدمه وعنصره لا يريد ان يشاركه عنصر آخر فى بناء الحضارة ولا يعترف له بذلك ، وان النفوذ الاستعمارى يريد ان يشعر اهل هذه الاوطان من العرب المسلمين بالذلة والتبعية ، ولذلك فهو ينكر فضلهم واثرهم فاذا عرض لهذه الفترة قال : ان العرب والمسلمين نقلوا الفلسفة اليونانية وحفظوها وهذا ولا شك افتئات كبير على الدور الضخم الذى قامت به الحضارة الاسلامية غير ان هناك بعض المنصفين قد اشاروا الى الأثر الكبير واشادوا به ومنهم بريفولت ودابر وجوستاف لوبون والدكتورة هونكه فى كتابها الحديث (شمس الله تشرق على الغرب) .

٣٥ ــ نظريات التربية الغربية

حاول الاستعمار فى خلال فترة الأحتلال الطويلة التى سقط خلالها العالم الاسلامى فى براثن النفوذ الاجنبى ، ان يفرض منهجا فى التربية والتعليم مستمدا من مصادر فكرة مستهدفا بذلك اخراج اجيال خاضعة تابعة ، لا ترى فى الاستعمار خصما وانما ترى فيه ولاءا واعجابا . وقد نجحت

هذه المناهج نجاحا منقطع النظير في هذا السبيل وكان من نتيجتها اغلب التحديات التي يواجهها العالم الاسلامي اليوم . هذه المناهج التي فرضها النفوذ الاستعماري كانت تهدف الى امرين :

أولا : ضرب مقومات الفكر الاسلامي والثقافة العربية في مختلف مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والتربية ، واشاعة الشبهات حول قيمنا العربية والاسلامية وتدميرها وخلق جو من الريبة والاحتقار والانتقاص حولها .

ثانيا : أعلاء مفاهيم الفكر الغربي والاشادة بها وتكريم بطولات الغرب وعظمائه وتاريخه وخلق جو من التقدير والاعجاب به والدعوة الى العالمية التي تسحق مقومات الامم وتدفعها الى الذوبان في أتون الامم الغالبة .

وإتد اكتشف العرب والمسلمون أخيرا وبعد وقت طويل مدى الاخطاء التي حاقت بهم نتيجة ذلك الاهمال وتلك السيطرة الخطيرة التي حققتها الارساليات الاجنبية بمدارسها وجامعاتها ومدى الأثر الخطير الذي تركته في أكبر قضايا الامة العربية والعالم الاسلامي الكبير وذلك الولاء العميق للامم الاجنبية الطامعة ، والتبعية التي خدمت اهداف الصهيونية والنفوذ الاستعماري ، كما ارتفعت الصيحات بالتماس منابع التربية العربية الاسلامية من مصادرها الأصلية كأسلوب وحيد لتحقيق العزة والقوة ولمواجهة الغزوة الصهيونية والاهداف الاستعمارية .

ان اختيار العرب لحمل أمانة الدعوة الاسلامية ، واختيار اللغة العربية لنزول القرآن من الامور التى ما تزال بعيدة الاثر فى دراسات الاجناس واللغات والامم فقد اختار الله هذه الامة القائمة فى قلب الجزيرة العربية لهذه الرساله فاستجابت وحملت لواء الأمانة واندفعت بها الى آفاق الارض واستطاعت ان تقيم هذا المجتمع الاسلامى الكبير فى فترة قليلة لا تتجاوز سبعين عاما ، واستطاع الاسلام ان يعطى الامة العربية هذه الوحدة وهذا التشكل الذى جعل منهما امة بعد ان كانت مجموعة من القبائل ، كما اعطى اللغة العربية هذه المكانة الخطيرة بين لغات الشرق والغرب حين نزل القرآن بها ، هـذا القرآن الذى حفظ هذه اللغة من التمزق الى لهجات على هذا المدى الطويل بينما تمزقت لغات كاللاتينية وماتت لغات أخرى كثيرة واستطاع العرب وحدهم ان يفهموا النصوص المكتوبة منذ خمسة عشر قرنا ، بينما لا يتاح الآن لامة من الامم ان تفهم من نصوصها المكتوبة ما يتجاوز ثلاثة قرون ...

غير ان التغريب والغزو الثقافى انما يريد ان يعيد ربط الامم فى حاضرها بماضيها البعيد متجاوزا هذه القرون الاربعة عشر ، متجاهلا اثرها الخطير فى تكوين الثقافات وتشكيل العقليات والأمزجة ، ومن هنا جرت محاولة رد العرب الى الجاهلية والمصريين الى الفرعونية والسوريين الى الفينيقية والمغاربة الى البربر وهى محاولة فاشلة لم تحقق شيئا واثبتت عمق الروابط والجذور التى اكدتها صلة الامة العربية بالاسلام واللغة العربية واكدت ان التاريخ لا يرجع القهقرى

وان الامة التى دفعها الاسلام بمنهج القرآن الى التوحيد والعدل والأخلاق لا تستطيع أن تعود مرة أخرى الى الوثنية والعصبية وصدق الله العظيم (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) المائدة آية ٣ .

٣٧ ــ مفهوم التراث وهل للاسلام تراث ؟

جرت محاولات تغريبية كثيرة لاضفاء صفة التراث على الاسلام والفكر الاسلامى ، وذلك حتى ينفتح باب الشبهات من حول مضمون التراث وما يبقى منه وما يزول .

وللامم تراث تنظر فيه لتجد من بين آثاره ما يعينها على النهوض فتقبله وتضيفه الى واقعها وان بعد العهد به . وانفصلت عنه الامم ، وتحولت فى مسيرتها ، ومن مثال ذلك التراث اليونانى والرومانى لامم الغرب ، هذا التراث الذى توقف ألف عام تقريبا وماتت لغته الاصلية (اللاتينية) منذ عام ٤٠٠ ميلادية ثم جاءت حركة النهضة (الرينسانس) فى القرن الخامس عشر فأرادت احياءه والاستمداد منه وربط الاواصر بينه وبين الحاضر ، وربما ظن بعض دعاة التغريب أن مثل هذا يمكن ان ينطبق على الفكر الاسلامى مستمر متصل خلال اربعة عشر قرنا متشابكة لم يتخلف الفكر الاسلامى ومن هنا يمكن أن يوصف بأنه تراث والواقع أن الفكر الاسلامى مستمر متصل خلال أربعة عشر قرنا متشابكة لم يتخلف الفكر الاسلامى فيها عن العطاء للحياة العربية الاسلامية والمجتمع والحضارة عطاءا دائما متدفقا .

ومن هنا فان الفكر الاسلامى الحى القائم المتحرك

المتطور المتفاعل مع مجتمعه طوال هذا الزمن ، من العسير ان يوصف بانه تراث ، وآية ذلك لغته العربية التى لا تزال تحفظ نصوصه حية نابضة حتى ليستطيع الباحث اليوم ان يقرأ لمن سبقوا خلال اربعة عشر قرنا وقبل ذلك ايضا دون ان يحتاج الى جهد او قاموس ، فمفهوم التراث لا ينطبق على الفكر الاسلامى الحى المتجدد الفعال وانما ينطبق على الفكر الرومانى واليونانى المبتوت المنقطع الذى انفصل الف عام ومن ثم فقد حق ان يكون موضع المراجعة والنظر والانتقاء . .

ومن الملاحظ هنا أن الفكر الاسلامى يرجع دائما فى مصادرة الى الاصول الاولى وانه لا يعتمد الابحاث المتأخرة وخاصة ما كتب فى عهود التخلف والضعف وقد يرفض منها الكثير الذى لا يتفق مع الاصول المؤصلة المتصلة اتصـــالا عضويا بالقرآن والسنة الصحيحة .

٣٨ ــ تجزئة الاسلام ، ودعوة تولستوى وغاندى

جرت دعوات خادعة فى العصور المتأخرة ، تحـــاول ان تحمل لواء السلام ونبذ الحروب ، والمقاومة السلبية وقد نسب ذلك الى تولستوى وغاندى وحاول الدعاة ان يرجعوا ذلك الى مفاهيم كلمات المسيح عليه السلام .

وكانت المحاولة الماكرة تحاول ان تصور الاسلام على هذا النحو ، او تنحى عنه جانب الغزوات والحروب وابواب الجهـــاد والقتال ، وذلك حتى تختفى صورة المقاومة التى يفرضها الاسلام ازاء الغاصب وازاء الغزو الخارجى . .

ولقد حرص الاستعمار البريطانى وخاصة فى الهند ان يفرض مفاهيم تحملها جماعات مضللة تصور الاسلام بصورة السلام القائم على الجبن والاستسلام للغاصب ، وكذلك حرص الاستعمار الفرنسى فى الجزائر وغيرها ان ينحى من دراسات الاسلام وكلمات الخطباء باب الجهاد ، وذلك ايمانا من المستعمرين بأن ذلك هو اخطر ما يواجههم فى الاسلام وانه اداة المقاومة والدفاع عن النفس !

بل لقد بلغ الامر ببعض الكتاب المضللين من قبل التغريب والغزو الثقافى ان يقفوا موقف التفرقة بين الاسلام فى مكة والاسلام فى المدينة وبين آيات القرآن المكى الداعية

الى الترقب والاصطبار وبين آيات المدينة التى تحرض المسلمين على القتال .

والواقع ان الاسلام منهج اجتماعى كامل لا ينفصل فيه الحرب عن السلم ولا يمكن ان يؤخذ من احد جوانبه وحدها ؛ ولا يمكن ان يطبق على اى منهج اجتماعى آخر فهو حاكم لا محكوم ، ومن اراد ان يأخذه فليأخذه كله ، نظاما متكاملا شاملا ، ومن عجب ان الاسلام لا يدعو الى الحرب ولا الى القتال ولكنه يدعو الى السلام على نحو اصدق مما تدعو اليه مختلف المذاهب والدعوات ، فهو يدعو المسلمين الى اليقظة وحماية الثغور وشحنها واعداد العدة ، من القوة ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم ، وهو يدعو الى الحذر فلا يلقوا اسلحتهم وأن يظلوا يقظين حتى لا يفاجئهم العدو ومن ثم فهو لا يدعوهم الى الحرب وانما يدعوهم الى اتقائها ولو أن المسلمين اخذوا بمفهوم الاسلام لما اجتاحهم

العدو فى فترات الغفلة والقاء السلاح والانسلاخ من الصمود فى المواقع الامامية والثغور وما اخذ المسلمون فى كل غــزو خارجى الا من هذه النقطة التى الح عليها القرآن واكدها مـــرارا .

٣٩ ـ الكشف والاستعمار :

من الاخطاء التى استمرت وقتا طويلا فى كتب التاريخ والجغرافيا تصوير الزحف الاستعمـــارى الذى قـــام به ولفنجستون وصمويل بيكر وفاسكودى جاما وهنرى الملاح على انه كشف للقارة الافريقية او اجزاء من آسيا او غيرها . بينما لم يكن هؤلاء جميعا من طلائع التبشير يحملون احقادهم على المسلمين والعرب الى كل مكان وتاريخهم يشـــهد بما قاموا به من اغارات واحراقات .

وكل هذه المناطق التى ادعو انهم اكتشفوها فى افريقيا كان العرب قد جاسوا خلالها وكتب عنها المؤرخون المسلمون فقد وصل ابن بطوطة الى اعالى نهر النيجر والى تمبكتو وسكوتو قبل ان يصل اليها الرواد الاوربيون بنحو ثلاثة قرون

وما ذكر عن صمويل بيكر من انه اكتشف منابع النيل الابيض ليس صحيحا علميا فقد كانت هذه المعالم معروفة وقد وصفها رجال الحملة المصرية قبله بزمان طويل .

واما الهند فقد كانت معروفة قبل وصول ماركوبولو وفاسكودى جاما بقرون .

والواقع ان ما وصف بانه رحلات الكشف هذه التى وردت فى كتب التاريخ والجغرافيا محاطة بهالة من البطولة لم يكن فى الحقيقة الا زيفا اراد به الاستعمار ان يشعرنا بانه هو صاحب الفضل والعلم ، وقد كانت هذه الرحلات الطليعة الأولى للاستعمار وقد أشار ولفجنستون فى احدى كتاباته الى هذا المعنى حين قال : ان نهاية الاكتشاف الجغرافى هى بداية العمل التبشيرى فان الارساليات التبشيرية كانت تتحرك وراء هؤلاء الرجال الذين كانوا فى الاصل دعاة ومبشرين .

والمعروف ان هؤلاء الرحالة من البرتغال والاسبان انما كانوا بمثابة طلائع لحركة التطويق التى بدأها الاستعمار الغربى بعد اجلاء المسلمين والعرب عن اسبانيا ضمن مخطط قصد به الطواف حول العالم الاسلامى والسيطرة عليه من الخلف .

٤٠ ــ الخلاف بين الدين والعلم :

يردد التغريبيون دائما تلك الدعوى الزائفة التى تقول بالخلاف بين الدين والعلم ، وهى دعوى تهدف الى تصوير الدين فى موضع القصور وتصوير العلم فى موقف القدرة والسيطرة العلمية الكاملة . وقد نقلت هذه القضية بجميع فصولها من الفكر الغربى وموقفه من دين الغرب الذين ليس هو المسيحية المنزلة السمحة . وانما ذلك الدين الذى صاغوه فى اطار من المسيحية وفى مضامين من الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الرومانى .

وفى ظل هذه المفاهيم جرى الخلاف بين الكنيسة والعلوم الكيمياوية والطبيعية التى بدات تحقق نتائج هامة بعد ان استولت اوربا على معامل البحث التى انشأها العرب والمسلمون فى اسبانيا ثم اخرجوا منها ، ومن هنا فان خطوات التقدم العلمى التى عرفتها اوربا انما كان المسلمون هم واضعوا اصولها وبناة قواعدها وهم اصحاب المنهج العلمى التجريبى الذى لم يكن يعرفه اليونان والذى صنعه المسلمون امتدادا لنظرة الاسلام الى العلم ودعوة القرآن الى النظر فى الكون وتطوروا بالبحث العلمى من الفقه والتشريع الاسلامى اساسا .

ومن هنا يتكشف زيف الخلاف بين الدين والعلم فى الاسلام وفى الفكر الاسلامى ، وذلك ان الاسلام هو الذى صنع العلم الاسلامى ، وأوربا هى التى سيطرت على هذه العلوم ثم نمتها ، فالخلاف خلاف محلى او خلاف اوربى ، او خلاف غربى قاصر عند حدود هذه الامم ، ولذلك فان امر نقله الى عالم الاسلام والعرب والى الفكر الاسلامى ليس الا محاولة مضللة يراد بها تزييف الحقائق واحداث البلبلة والاضطراب . .

فالمسلمون لم يعرفوا رجل الدين ولم يعرفوا الكهنوب ولا سلطة المنظمة الدينية وليست لهم منظمة كالكنيسة ولم يعرفوا الحكومة الثيوقراطية ، ولم يقرر كتابهم المنزل الموثق شيئا خالف العلم كما حدث بالنسبة لبعض الكتب التي تعرفها الاديان .

ولقد قامت نظرية الفكر الاسلامى فى منهج المعرفة .

على تكامل الدين والعلم ، وبين العقل والقلب ، وبين الروح والمادة ، وبين العقل والنقل ، ومن هنا لم يحدث أبدا ولن يحدث ذلك الصدام أو الصراع فان الاسلام يعتبر العلم جزءا منه ، ويرى ان العقل وسيلة المحسوسات والقلب وسيلة الغيبيات ولذلك فان هذه الدعوى باطلة اصلا بالنسبة للفكر العربى الاسلامى .

٤١ ـ الاساطير وسيرة الرسول :

كان اخطر ما واجه الفكر الاسلامي فى مراحله الاولى تلك المحاولة التى أرادت أن تدخل الى السنة النبوية والى التفسير سيلا من الاسرائيليات والاكاذيب والاساطير ، وكان اصحاب هذه المحاولة هم خصوم الاسلام من يهود ومجوس وغيرهم ، وقد تنبه علماء المسلمين الى هذه الظاهرة فقاوموها كاملة وحاصروها حصارا شديدا حتى قضوا عليها وقام علم الرجال وعلم الجرح والتعديل وأمكن حصر التراث النبوى ككل وتحقيقه والكشف عن زائفه ، وكذلك جرى العلماء الى تنحية هذه الأكاذيب عن تفسير القرآن .

وفى العصر الحديث بدأت محاولات جديدة لاضافة الاساطير القديمة مرة اخرى الى سيرة الرسول بعد ان نقيت هذه السيرة تماما ، وحررت من كل الاكاذيب ، وذلك عن طريق (تاديب التاريخ) وهو ما حاوله من اطلق على كتبهم هامش السيرة وغيرها وهى محاولة خطيرة وبعيدة الاثر فقد اعطى هؤلاء الكتاب انفسهم حرية

الخيال فلم يقبلوا الاساطير على صورتها الساذجة القديمة بل اضافوا اليها وتوسعوا فيها .

وقد تنبه لذلك بعض الباحثين من امثال الدكتور هيكل وغيره وكشفوا عن مدى الخطر الذى يتعرض له التاريخ الاسلامى باحياء مثل هذه الاساطير القديمة الوثنية والاسرائيلية واعادة اضفائها على سيرة الرسول المنقاة الظاهرة التى حررت تماما من كل زيف او اضافة .

وقد تبين تماما ان هذه محاولة جديدة من محاولات التغريب ارادت ان تستغل اهتمام الناس بالسيرة النبوية وعرضها عرضا جديدا عن طريق اسلوب موسيقى فنى ولكنه مسموم ، يحاول اضافة زيف الى الحقائق ، فى نفس الوقت الذى عمل فيه اهل السنة والجماعة وفى مقدمتهم الامام العظيم شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم على تحرير الفكر الاسلامى والسيرة من ككل زيف وهو ما فعله كثيرون منهم الامام ابن كثير وما جرى عليه الامام محمد عبده والسيد رشيد رضا وكان الامام محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية اصدق الدعاة اليه فهو ابو هذه المدرسة الحديثة وامامها .

٤٢ ــ الدين والضمير

من المحاولات الخطيرة فى مجال التغريب محاولة الفصل بين الدين والضمير والقول بأن العمل الاخلاقى يمكن ان يتخذ طريقة دون ان يكون الانسان عاملا بأوامر الدين ، وتلك دعوى تتردد اليوم بين المسلمين ، يقول أحدهم

انى والله افعل الخير واحسن الى الفقير وافعل ، ولكن امر الصلاة والصوم شىء آخر .

ويظن هؤلاء انهم بهذا يستطيعون كسب محبة الناس او رضاء الله .

والواقع ان الاسلام كل متكامل ونظام شامل كالعقد الجامع فيــه العقيدة والشريعة والأخلاق مرتبطة لا تتفرق ولا بد أن يبدأ عمل الانسان كله بعد خلال اطار واضح صريح هو الاسلام بقوانينه وانظمته وعباداته ومعاملاته فلو أنفق الرجل ألوف الجنيهات فلا قيمة لها اذا لم تكن فى اطار الزكاة مرتبطة بالصــلاة والصوم ، على النحــو الذى شرعه الله وان أى عمل أخلاقى لا يمكن أن تكون له قيمة أصيلة اذ لم يكن مرتبطا بنظام الاسلام كله على النحو الذى رتبه المنهج القرآنى .

ان الغربيين حــين أرادوا الخــروج عن الدين رغب فلاسفتهم فى وضع منهج أخلاقى كبديل للدين نفسه فابتكروا هذه الصور والأوضاع وحاولوا بها خلق مجال روحى او عقائدى يلتمس من الدين شئون المعاملة فيجعلها منهجا قوامه الأخلاق والاحسان والخير والبر المقطوع عن اصل الدين ، ولــكن مثل هذه الفلسفة قد فشلت فى البيئات التى ارادتها ذلك لانه لا سبيل الى الفصل بين اجزاء الدين الذى جاءت به رسالات السماء والذى كان الاسلام خاتمها واصفى معين لترابطهــا وتشكلها على النحو الذى ياخذ الانسان ككــل ، عقيدته بالتوحيد وشريعته بالعبادة والمعاملة ، وتجىء الاخلاق فتصبغ كل جوانب الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة والقانون

٤٣ — وصف الفكر الاسلامى بالفكر الدينى

يحاول المستشرقون فى مختلف كتاباتهم وصف الفكر الاسلامى بالفكر الدينى ، اى انه فكر غير علمي وذلك جريا على التقسيم الذى عرفه الفكر الغربى بالفصل بين الدين والسياسة وبين الاخلاق والاجتماع وبين العلاقة بين الله والانسان والعلاقة بين الانسان والمجتمع : وربما كان ذلك من الامور الطبيعية فى بيئة الفكر الغربى الذى تشكلت من خلال عناصر التراث اليونانى والتشريع الرومانى واللاهوت المسيحي ومن ثم جاء هذا الانفصال الواضح بين القيم والعناصر انفصالا اخذ طابعا صريحا فى حياة هذه المجتمعات وفكرها منذ وقت طويل ، غير ان هذا المنهج يعد قاصرا وغير صادق عندما يلتمس به فهم الفكر الاسلامى الذى نشأ منذ اللحظة الاولى متكاملا جامعا لا سبيل الى الفصل فيه بين القيم والعناصر ، بل انه يقوم اساسا على هذا التركيب الجامع الذى يجعل الاقتصاد والقانون والاجتماع والتربية مفرغة من حقائقها واصولها اذا لم تتكامل مع عقيدة التوحيد كأساس والاخلاق كمنطلق ، وتقوم اساسا على رابطة الوحى بالعقل ، والدنيا بالآخرة ، وعالم الغيب بعالم الشهادة ، والروح بالمادة ويحول ذلك المفهوم دون القول بأن الفكر الاسلامي فكر دينى لأن الفكر الدينى فى مفهوم الغرب هو الفكر القاصر على اللاهوت اى العلاقة بين الله والانسان ، اما الفكر الاسلامى فهو جماع بين علاقتين قوامها الانسان مع الله ومع الجماعة . ومن هنا تخطىء ايضا عبارات القول بأن اللغة العربية لغة دينية

او ان الاسلام دين (بمعنى العبادة أو اللاهوت) ، ذلك ان هذا المفهوم الجامع المتكامل يحول دون صدق القول بأن اللغة العربية لغة دينية أو لغة قومية بل هى لغة أمة ولغة فكر ولغة عبادة ولغـــة حضارة كبرى ، وان الفكر الاســـلامى هو فكر علمى منهجى لأنه قام على اساس مفهوم المعــرفة ذات الجناحين : جناح العقل وجناح القلب معا دون تضارب او ثنائية بل تكامل وامتزاج .

(أنور الجندى)

* * *

وكيل دار الاعتصام بالكويت
دار القرآن الكريم للطباعة والنشر
أخصائيون في نشر التراث الإسلامي
والعناية بالقرآن الكريم وعلومه وأحكامه
ص.ب: ١١١٤٣ ت: ٤١٢٥٤١

دار العلوم للطباعة
القاهرة: ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٢٦٥٤
الترقيم الدولى ٩ — ٩٥ — ٧٠٥٣ — ١٩٧٧